دعوة موسى
نموذج للدعوة النبويّة

الأب سمير بشارة اليسوعيّ

مقدّمة

من المنطقيّ، ربّما، أن نتكلّم على خصائص الدعوة النبويّة انطلاقًا من رواية دعوة موسى... وما تأتينا به الفصول ٣ إلى ٦ من سفر الخروج ملفت، في هذا الإطار.

تنقسم – بشكل مميّز – سنوات حياة موسى إلى ثلاث أربعينيّات :
– في الأربعينيّة الأولى من عمره، كان موسى أميرًا في بلاط فرعون؛
– وفي الأربعينيّة الثانية راعيًا في مديان؛
– وفي الأربعينيّة الثالثة ملكًا في يِشُورون.

في نهاية الأربعينيّة الثانية يدعو الربّ موسى ليُخرج إسرائيل من مصر.

إذا خُلق موسى ليحرّر إسرائيل، فَلِمَ يُوجَّه إليه أيّ نداء قبل عمر الثمانين...؟ وكأنّ الربّ ينتظر أحيانًا طويلاً قبل أن يدعوَ النبيّ لرسالة يكون قد هيّأها له منذ القديم.

راعي خراف... بعد العزّ والجاه والثقافة العليا...! إنتقل موسى من الشهرة إلى الخفاء، ومن الأبّهة إلى التواضع، وكأنّه، في حياة الإنسان، الفقر والتجرّد والعيش في الظلمة لا بدّ منها قبل أن يحين الوقت ليتدخّل الله، ويطلع إلى النور النبيّ الذي كان يعيش في العتمة...

كان موسى يرعى خراف حميه يترو: يظهر الله لموسى وهو يعمل – لا عاطل عن العمل...، لأنّ الكسل والبطالة حاجزان لتدخّل الله. كما يظهر الله له على انفراد في البرّيّة لا في قصر فرعون...، لأنّ الانعزال والابتعاد عن الأوثان شرط أساسيّ للالتقاء بالربّ.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M1.indd 33 1/25/17 9:43 PM

"سمع الله أنين شعبه" (٢: ٢٤)

أبتدئ بأوّل عبارة استوقفتني في نهاية الفصل ٢، آ ٢٤ : "سمع الله أنين شعبه".

ما من دعوة نبويّة – على ما أظنّ – إلاّ وتحمل أنين شعب وقوم وإنسان. ملفت أنّ كلمة "أنين" ومرادفاتها (مذلّة، ظلم، بؤس، صراخ، آلام) ترد مرتبطة دائمًا بمصطلحَين أساسيّين في الكتاب المقدّس: "عهد" و"عرف". "العهد" الذي ذكره الله مع الآباء إبراهيم ويعقوب وإسحق، و"معرفة" الله الحميمة لشعبه.

وكأنّه ما من دعوة نبويّة إلاّ وعليها أن تعتمد هاتَين الركيزتَين: "الإصغاء"، وهو المعرفة الحقيقيّة لحاجات الشعب، و"الذكر" – وهو تذكار الحدث الخلاصيّ، أي تأوينه في حياة هذا الشعب.

"لهيب نار"... (٣: ٢)

هناك عبارة ثانية ملفتة : "لهيب نار"... (٣: ٢).

لا بدّ من التصديق أنّ نقطة الانطلاق لكلّ دعوة نبويّة هي اختبار تجلٍّ داخليّ.
يُعبَّر هنا عن هذا التجلّي بـ"لهيب نار": لا يستطيع الإنسان أن يتحوّل من الداخل ما لم يمسّه نار وروح؛ فالروح هو الذي يحوّل الإنسان العاديّ إلى إنسان "آخر"، إلى نبيّ الله.
لاحظ : إنّ الله أظهر مجده في علّيقة صغيرة ! لم يختر أرزة شامخة وعالية بل كومة شوك، وكأنّ الله يختار في العناصر ما هو ضعيف ومهمل (وراعيًا فقيرًا) ليخزي الحكماء. ولو أهمل موسى شعلة النار هذه واعتبرها بلا أهمّيّة، لكان الربّ – على الأرجح – انسحب و لم يكلّمه. وكأنّه لا نستطيع أن نلتقي بالله ونقترب من الجوهر إلاّ من خلال الأمور العاديّة والمتواضعة...

"هاءنذا" (٣: ٢)

يلفظ موسى تلقائيًّا، عند سماعه نداء الربّ، كلمة "هاءنذا" (٣: ٢): عفويّة وتلقائيّة ربّما، إنّما نابعتان من شخص لا ينتظر شيئًا ولا يأمل بشيئًا: وهذه هي حالة كلّ نبيّ.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M1.indd 34 1/25/17 9:43 PM

يحلّ الروح على موسى، إنسان محدود وضعيف، يحاول أن يرفض هذه الدعوة لا بل أن يحاربها: "من أنا... ماذا أقول... إن لم يصدّقوني... العفو يا ربّ، إنّي لست رجل كلام..." (٣: ١١؛ ٤: ١، ١٠، ١٣).

وكأنّ ما من ميل طبيعيّ عند الإنسان للنبوّة، وما من عقليّة أو ذهنيّة خاصّة به، فينطرَح هنا السؤال التالي: كيف يصبح الإنسان نبيًّا دون مؤهّلات أو كفاءات ؟

يردّ الرَّبّ على موسى: "مَن الَّذي جَعَلَ للإنسانِ فمًا، أو مَن الَّذي يَجعَلُ الإنسانَ أَخرسَ أَو أَصمَّ أَو بصيرًا أَو أعمى؟ أَليسَ هو أنا الرَّبّ؟ والآن فاذهَبْ، فإنِّي أكونُ مع فمِكَ وأُعَلِّمُكَ ما تَتَكلَّمُ به" (٤: ١١–١٢).

كأنّ الله يُسَرّ أحيانًا باختيار أنبياء لم تزيّنهم الطبيعة بفنّ الوعظ والكرازة، لديهم نواقص وعيوب، ربّما لتتجلّى فيهم نعمته بشكل أعظم (لنذكر من أيّ بيئة اختار يسوع تلاميذه، وكيف جعلهم الروح رسلاً).

لاحظ: يوجّه الربّ دائمًا نداءه للذين يعتبرون أنفسهم غير أهل للرسالة؛ فالذين يكونون أكثر جدارةً للخدمة هم الذين "لا يركضون أبدًا وراءها" !

إنّ الله يعمل بقوّة في النبيّ. كيف ؟ ينزل الروح على النبيّ، يجتاحه، طاقة فيّاضة... من أجل رسالة مباشرة، أو بعدما يستقرّ فيه كنعمة هادئة لكن دائمًا فعّالة، فيصبح النبيّ إنسانًا يحيا من الروح وبالروح من الآن وصاعدًا، سفير الله ولسان حاله.

يحاول النبيّ التهرّب: "العفوَ يا ربّ، أَرسِلْ مَن تُريدُ أَن تُرسِلَه" (٤: ١٣)، لكنّ جواب الربّ حازم: "أليسَ هناكَ أخوكَ هارونُ اللاَّويّ؟... هو الَّذي يُخاطِبُ الشَّعبَ عنكَ ويكونُ لكَ فمًا، وأنتَ تَكونُ له إلهًا" (٤: ١٣؛ ١٦).

سيكون شاهدَان: موسى وهارون (هذا يذكّرنا أنّ يسوع أرسل تلاميذه اثنين اثنين، والبعض منهم كانوا إخوة). وكأنّ على الله أن يتكيّف مع ضعف الإنسان ويراعي ظروفه !

إنّ هارون أكبر من موسى، مع ذلك سيكون تحت إمرة موسى: لهارون الخطاب، ولموسى التدبير؛ لهارون اللسان، ولموسى القلب؛ فالله يعلم في الواقع كيف يوزّع المواهب على كلّ واحد وبطريقة متنوعة. "سأكون في فمه" (فم هارون)! حتّى هارون، وإن كان بليغ الكلام، سيكون بحاجة إلى تعليم الربّ وكيف يتكلّم من

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M1.indd 35 1/25/17 9:43 PM

خلاله، لأنّه، دون استمراريّة التدخّل الإلهيّ، حتّى أحسن خطيب ممكن أن يتعرّض إلى الفشل.

"تكون له إلهًا"! هي ضربة قاضية للضمير... ولضمير موسى الذي سيكتشف الحبّ الإلهيّ والذي يستغويه. وسيختبر مغامرة روحيّة تملأه قوّة وحكمة، معرفة وسلطة.

"لماذا أَرسَلتَني؟" (٥: ٢٢؛ ٦: ٩)

دعوة موسى لن تكون سهلة: "يا ربّ، لماذا أَسأتَ إلى هذا الشَّعب؟ لماذا أرسَلتَني؟" (٥: ٢٢؛ ٦: ٩).

إنّ الله هو الذي يدعو أوّلاً: المبادرة تأتي دائمًا منه...، علمًا أنّ موسى لا يتسلّم مركز سلطة، بل مركز خدمة: خدمة الكلمة – وخدمة الإنسانيّة الخاطئة.

دعوة موسى، مثل دعوة كلّ نبيّ : جدّيّة، خطيرة، مؤلمة. دعوة تتضمّن تعليمًا وشفاعة، تأديبًا وتوسّلاً.

هل كان لموسى حرّيّة الاختيار؟ هل للنبيّ مجال للرفض ؟

اكتشف موسى بلهيب النار هذا الحبّ الإلهيّ، فدخل بخبرة روحيّة، لا بل اختبر، على حدّ قول أحد الشرّاح، مغامرة زوجيّة صعُبَ عليه رفضها (التلمود يقول إنّه لم يعد يجتمع مع امراته من بعد هذا التجلّي).

ما من دعوة نبويّة – على ما أظنّ – إلاّ وتحمل واجبًا يُلزم النبيّ معنويًّا. تضمّنت دعوة موسى جاذبيّة لا مفرّ منها، جاذبيّة وضعته في علاقة حميمة مع الله ووسيطًا بينه وبين قومه – وذلك في سبيل رسالة لا شكّ أنّها كانت تتخطّى إدراكه وإرادته: رسالة تأنيب وقضاء، تعزية وسلام. وهذه دعوة النبيّ بامتياز.

دعوة يلخّصها نداء الربّ المتكرّر مرارًا في الكتاب: "إنّي قد رأَيتُ مذَلَّةَ شعبي الَّذي بمصر،... فنزَلتُ لأُنقذَه... الآن هوذا صراخُ بَني إسرائيلَ قد بَلَغَ إليَّ،... إذهَبْ! أَخرِجْ شعبي..." (٣: ٧–١٠).

"أَخرِج شعبي من مِصر..."، أو "أطلق شعبي ليعبدَني": هذا هو شعار المؤتمر الذي يجمعنا. هو شعار وفي الوقت ذاته دعوة: دعوة تحرير من عبوديّة، من نير، ومن احتلال، ما زالوا يهدّدون عالمنا اليوم !

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M1.indd 36 1/25/17 9:43 PM

وللتحرير شروطه...

ربّما علينا أن نعود إلى رعشة اللقاء الأوّل... لنشاهد موسى:

ترك موسى خرافه ليلتقي بالله: ترك العمل والوظيفة؛ ولو لم يتركهما لما كلّمه الله...

يقول في بداية الفصل ٣، آ ٣: "أَدورُ وأَنظُرُ هذا المنظرَ العظيم ولماذا لا تَحتَرِقُ العُلَّيقة".

هي حشريّة قادت موسى إلى الاقتراب، ربّما ليفهم...، وكأنّ الوحي الإلهيّ أصبح في متناول الإنسان، وصار باستطاعته أن يملكه. وما يكون بمتناول الإنسان، يستطيع الإنسان أن يتعرّف عليه ويستوعبه، لكن بالتأنّي واحترام المسافة...

خاتمة

أن نصبح أنبياء يعني أن نتبنّى هذه الحركة النبويّة، حركة موسى: أن نلفّ وندور ونبحث، لنتعرّف ونستوعب... يقول قداسة البابا فرنسيس: علينا أن نبحث عن الله كي نجده، وأن نجده كي نبحث عنه مجدّدًا. وحده هذا النوع من عدم الاستقرار يجلب إلى قلب الإنسان السلام الداخليّ العميق.

أختم بنشيد ظفر، نشيد فصحيّ، ممكن أن نعتبره مسيحانيًّا بامتياز، سينشده موسى أمام انتصاره على فرعون: "الرَّبُّ عزّي ونشيدي، كانَ لي خلاصًا. هذا إلهي فبه أُعجَب، إلهُ أَبي فبه أُشيد... برحمتكَ هَدَيتَ الشَّعبَ الَّذي فدَيتَه... بعظَمةِ ذراعِكَ كالحجرِ يَخرَسون، حتَّى يَعبُرَ شعبُكَ، ياربّ، حتّى يَعبُرَ الشَّعبُ الَّذي اقتَنَيتَه" (ف ١٥).

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M1.indd 37 1/25/17 9:43 PM